رحلة الى دير طورسينا

للأستاذ الدمرداش محمد

عضو جمعية الاصدقاء والرحلات بوزارة المعارف

١

كنا تسعة من الرفاق من شعوب مختلفة جمعتنا المصادفات فاحببنا رغبة مشتركة للقيام برحلة الى قلب شبه جزيرة طورسينا لزيارة ديرها الشهير « دير سانت كاترين » فاتفقنا على تنفيذ الرغبة رغم ما تنطوى عليه من مشقة ومتاعب جمة ولكنها كانت رغبة ثائرة دفعتنا الى العمل بحماس شديد ساهم فيه الشاب منا والكهل والشيخ على حد سواء. — وبعد أن استكملنا عدتنا من مرافق السفر والاقامة وتزودنا بكل ما يلزمنا من معلومات وخرائط . استأجرنا أربع سيارات من نوع معروف بالمتانة ومقاومة الصدمات والرجات العنيفة . ثم جعلنا إحداها لحمل المعدات والاخريات لركوب الجماعة.

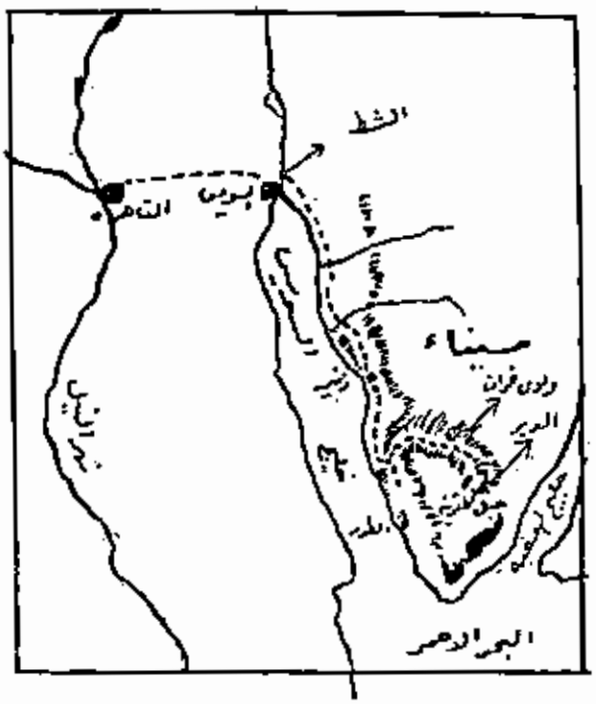

من القاهرة الى دير طورسينا

تستغرق هذه الرحلة عادة أسبوعا كاملا ثلاثة أيام فى الذهاب يومين فى الاقامة والتفرج على الدير ومثلهما فى العودة، هذا اذا لم تصادفك عراقيل فى الطريق ولكن كثيرا ما يضيع على المسافر يوم أو بعض يوم فى إصلاح ما قد تصاب به سيارته من عطب أو فى انقاذها من ورطة. فقد تغوص عجلاتها فى الرمل ولا يتيسر احراجها منه الا بجهد ومشقة وتعتبر الكثبان الرملية من أكبر معطلات الانتقال السريع فى الصحراء . وهى تعترض الطريق فى كثير من الجهات. وكذلك جلاميد الصخر وهى منتشرة فى كثير من الوديان ومجارى السيول . الا أنها أقل خطورة من الكثبان.

والمسافة بين القاهرة والدير نحو ٤٢٥ كيلو مترا يقطعها المسافر عادة فى ثلاث مراحل: المرحلة الأولى من القاهرة الى السويس، والمرحلة الثانية من السويس الى أبى زنيمة على خليج السويس، والمرحلة الثالثة من أبى زنيمة الى الدير .

غادرنا القاهرة بعد ظهر يوم الخميس ٢٣ ابريل سنة ١٩٣١ باعتين قاصدين السويس عن طريق الصحراء ، فوصلناها فى الاصيل وبتنا فيها .

وفى اليوم الثانى عند الفجر عبرنا قنال السويس الى الضفة الشرقية عند نقطة الشط، وبعد أن فحصنا سياراتنا وزودناها بما تحتاج اليه انطلقنا نسير نحو الجنوب فى طريق رملى منبسط — وعن يميننا خليج السويس وعن يسارنا تلال تتدرج فى الارتفاع كلما بعدت عنا نحو الشرق — وبعد ساعة من الشط مررنا بعيون موسى وهى عبارة عن واحة صغيرة قريبة من الخليج خالية من السكان وبها عين ماء رائعة وبعض أشجار أخرى.

وعند الظهر قطعنا وادى الغرندل . وهو واد عريض يسير من الشرق الى الغرب، كثير الشجيرات، وافر الكلأ يتوسطه مجرى من الماء العذب. وبعد وادى الغرندل تتغير طبيعة الطريق فيصير صخريا فى كثير من اجزائه كثير التعاريج والالتواءات بين انخفاض وارتفاع، وتقوم فى جهته الغربية سلسلة من جبال عالية تحجب البحر تماما . وقبيل العصر برزت امامنا جبال المنجنيز بلونها الأدكن وعلوها الشاهق. وبعد أن مررنا بوادى الطيب وهو كوادى الغرندل كثير الماء، انعطف الطريق نحو الغرب، وبعد أن اجتزنا ممضيقا بين جبلين، انحدرنا نحو البحر الى سهل واسع موازٍ للخليج تقع أبو زنيمة فى طرفه الجنوبى على مرفأ صغير للسفن وهى عبارة عن قرية صغيرة بها منشآت شركة المنجنيز ومستودعاتها ومساكن

الموظفين والعمال ومسجد ومدرسة أولية ونقطة بوليس ومكتب للبريد والتلغراف ودكان صغيرة (كانتين) قد يجد فيها المسافر بعض ما يلزمه كالأطعمة المحفوظة والبنزين والسجاير، وبالقرب من الدكان المذكورة مستودع للماء العذب الذي يؤتى به من السويس في البواخر والشركة تعطيه للمسافرين بغير مقابل.

كان وصولنا الى أبي زنيمه قبل الغروب بساعة فإنشأ الميت نهايل تابعنا السير والطريق بعدها لمسافة ليست قصيرة صبق بسير فوق صخور عالية تشرف على البحر من جهة وتحف بها الجبال من الجهة الاخرى . وعند الغروب وصلنا الى نقطة بوليس لخفر السواحل واقعه على البحر يبعد عن السويس نحو ١٥٤ كيلو مترا قاما بالقرب منها .

وفي صباح اليوم الثالث تابعنا السير جنوبا في الطريق المؤدي الى الطور مبتعدين عن الطريق الشرقي للدير لكثرة مرماله الناعمة وهو الذي تسلكه عادة سيارات مصلحة الحدود . وعند الظهر وصلنا الى نقطة تفرع منها طريق يتجه شرقا وهو طريق وادي فيران الموصل الى الدير فتبعناه وبعد ساعة - وكان تقدمنا بطيئا جدا لليونة الارض وكثرة الجلاميد بها - دخلنا

مدخل وادي فيران

وادي فيران العظيم . وهو من اجمل الوديان التي شاهدتها . طوله نحو ١٢٠ كيلو مترا . كثير التعاريج، وجباله حمرانية شاهقة ذات الوان متعددة بين ابيض واسود واحمر وجوانبها تكاد تكون رأسية وقمها مخروطية تقاطع السحاب، والوادي كثير العشب والحيوانات . وتقع واحة فيران في منتصفه طولها نحو اربعة كيلومترات . يرويها ماء الزلال يتفجر من جوانب الصخر ويسيل في مجاري تتخلل بساتين الواحة ويرويها ، والواحة عامرة بالناس والحيوان والمزروعات والحشائش ، فيها من الحيوانات الجمل

واحة فيران

والغنم والماعز . ومن المزروعات القمح والشعير والبقول ، ومن الاشجار النخيل والليمون المالح والتفاح والبرتقال والتين والزيتون والسرو والعنب والصبير وغير ذلك من الاشجار البرية التي لا اعرف لها اسماء .

كان وصولنا الى الواحة قبل الغروب بساعة فرأينا ضيوفا على الحديقة التابعة للدير وبدا تلك الليلة بها . وقد رحب بنا الراهب المشرف على الحديقة ورادفنا كرما وفيا لنا عشاء شهيا مركبا من شاة مشوية وبعض البقول المطبوخة والفواكه المحفوظة .

وبعد العشاء جلست الى الراهب استمع لما يقول وهو من أصل يوناني يتكلم العربية بطلاقة ولكنها مكسورة مفهومة قال: جئت هذه الواحة مرغما من قبل المطرانية منذ ستة عشر عاما وكنت قد جاورت الستين فوجدت فيها ما كنت أشتهيه من العزلة وطيب الاقامة ولا يزيدني مرور الأيام الا التصاقا بها ومحبة فيها وقد عشت مع هؤلاء البدو الطيبين عيشة عائلية

لم تشب عشرتنا طول هذه المدة أية شائبة وكل ما أتمناه ان تكون حجرتي الصغيرة هذه - مشيرا الى حجرة تتوسط الحديقة - وهي التي آوتني طوال هذه السنين في قيظ الصيف وزمهرير الشتاء، أتمنى ان يكون فيها لحدي كذلك ثم سكت وأطرق برأسه، وبعد ان تناءب طويلا اخذ يرتل نشيدا دينيا بصوت خافت ونغمة عذبة شجية طربت لها وأهاجت عواطفي حتى كدت ابكي ثم اتجه الى ناحية في الحديقة ودعا ناظر قلب الهلال من بين ربى سربالة، فكان مشهدا لم أر أجمل منه

ومظهر الحديقة وحسن تنسيقها يدلان على ما يبذله هذا الشيخ من عناية وجهود، ويقوم على خدمتها جماعة من البدو بارشاده، وله عندهم مكانة واحترام، وهو يعيش بينهم آمنا مطمئنا ويعيشون في كنفه مسالمين قانعين، وهو المتصرف في شئون النبع فلا يسمح لبشاتين الأهالي من مائه الا بما يزيد عن حاجة حديقته.

ويشرف على الواحة جبال سربالة بحمرائها القاتمة وقممها الضاربة نحو السماء برؤوس مخروطية كالسهام. وقد شاهدنا بين الربى مبان قديمة قيل لنا إنها منازل رومانية أثرية ومن بينها صوامع للرهبان.

وفي صباح اليوم الرابع تابعنا السير بين مناظر طبيعية رائعة خلابة وكان تقدمنا بطيئاً كاليوم السابق لتصعيد الطريق، وقبل الظهر مررنا بقبة على ربوة بجانب الوادي قيل لنا إنها مقام نبي الله صالح عليه السلام وبعدها تغيرت معالم الوادي واتجهنا نحو الجنوب ثم مال بنا الطريق نحو الشرق وارتقى بنا في وادٍ شديد الانحدار، وهنالك في أحضان جبال ثلاثة وعلى ارتفاع ألف متر من سطح البحر أو يزيد، ظهرت لنا حديقة الدير باشجارها الباسقة ومن خلفها الدير نفسه رابضاً عند سفح جبل موسى كالحصن ثابت الأركان عالي الجدران تعلوه المنازل والابراج

« لها بقية »

تريد أن تحب...؟

(بقية المنشور على صفحة ٣٦)

بعد ثلاث ساعات يأزف الموعد. كل شيء منظم بذوق سليم. الاواني. الطنافس. الوسائد. الصور. في وسط الغرفة رسم لها كبير يزيك تنيها الايمن تغطيه ملاءة حريرية شفافة. مجموعات الرسوم الفنية. الراديوغرامافون. السكاير. العطور. ما اعظمه يوما في التاريخ!

لم يبق الا ساعتان

لم يبق سوى ساعة ونصف!

ساعة واحدة فقط.. ثلاثة أرباع الساعة.. نصف ساعة.. ربع ساعة..

ما لقلبها يدق سريعا سريعا..؟ ما لها لا تستطيع الثبات على المقعد..؟ إنها تروح وتغدو كأن في صدرها نارا تحركها..

بقي عشر دقائق.. تسع.. سبع.. خمس..

وأحست بقلبها كأنه يريد ان يتحرك من مقره ويصدرها يعلو ويهبط.. وبافكارها وأنظارها زائغة لا تستقر على قرار.

تن.. تن.. تن.. تن.. تن

دقت الساعة خمسة فطرق الباب على الاثر فهرولت تستقبل سعادتها المنتظرة.

فتحته قليلا وهي تقول بصوت عذب متقطع. تفضل!

فدخل سير النجوم يتوكأ على عصاه. كان شيخا تجاوز الستين، محدودب الظهر، غائر العينين....

— مساء الخير سيدتي..

— تفضل!!

وأومأت اليه أن يدخل غرفة الاستقبال وركضت إلى غرفتها فارتمت على فراشها تبكي بكاء الاطفال...

بغداد — انور شاءول

المحامي

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

نقلها إلى العربية

احمد حسن الزيات

وهي قصة من الشعر المنثور قوية العاطفة دقيقة الوصف رائعة الاسلوب. تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر بشارع الساحة رقم ٣٩ ومن المكاتب الشهيرة والثمن ١٥ قرشاً